الحوار الديني
الإدلاء بالشّهادة توخّياً للعدل

د.محمّد الطالبي

هل يستطيع المسلم من داخل دينه، أن يدخل في حوار حقيقي مع أتباع ديانات أخرى، وبعبارة أخرى هل يسمَح القرآن الكريم بالحوار؟

عن هذا السّؤال أجاب الأكاديمي الإسلامي المغربيّ د. محمّد الطالبي، في سياق حوار طويل معه تحت عنوان: «الإسلام والحوار الدِّيني». نقتطف هنا أبرز ما جاء فيه، بتصرّف.

القرآن الكريم هو حوار بذاته، من أوّله إلى آخره. نجد فيه على سبيل المثال فعلاً كثير الورود هو فعل «القول». وهو فعلٌ مُهيمن، تجده في كلِّ صفحة. ويَرِدُ أيضاً بصيغة «قال»، «قلت»، وفي كثير من الأحيان بصيغة الأمر «قُلْ».

ذلك يعني أوّلاً أنَّ القرآن، في ذاته حوار مع الإنسان، والإيمان يُكتَسَب عبر حوار الله تعالى مع الإنسان، مطلقاً.

إنّنا عادةً ما نقرأ في القرآن «وقالوا»، «وقال الكافرون»، «وقال الذين أشركوا»، فقد كان أغلب العرب في زمن النّبي ﷺ مشركين مَلاحدة، وكان لهم معبدٌ للآلهة، وقد أشار القرآن الكريم إلى حوارهم مع رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ..﴾ الجاثية:٢٤. كذلك أشار القرآن الى كلام سائر المِلَل المُنكِرة للبعث مع النّبي ﷺ، وقدّم لكلٍّ منها الإجابة التي تدحض حُجَجها ومزاعَمها.

كذلك يحاور القرآن الكريم اليهود مستعملاً عادةً مصطلح «بنو إسرائيل»، مع العلم أنّه لم تَرِد فيه قطّ عبارة «بنو إبراهيم»، لأنّ العرب هم أيضاً أبناء إبراهيم.

ويمتاز هذا الحوار بكثافته، حيث تضمّنت معظم السُّور القرآنيّة فقراتٍ منه، وقد ورد ذكر نبيّ الله موسى على نبيِّنا وآله وعليه السلام مائة وستّة وثلاثين مرّة.

وهناك أيضاً الحوار مع المسيحيّين، الذين يسمِّيهم القرآن بالنّصارى، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:٥٢.

ومن أبرز مصاديق هذا الحوار، الآيات من سورة آل عمران والتي تشير إلى حادثة المباهلة بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران.

وقد ورد ذِكر نبيّ الله عيسى على نبيِّنا وآله وعليه السّلام خمسة وعشرين مرّة باستعمال الإسم «عيسى»، وإحدى وعشرين مرّة بتسمية «المسيح». أمّا السّيّدة مريم عليها السلام، فقد ورد ذكرها أربعة وثلاثين مرّة، بعبارات قدسيّة تعكس الموقع الطّبيعي لسيّدة نساء العالمين في زمانها، وتختلف صورة السيّدة مريم في كتاب الله المجيد عن تلك التي في الأناجيل. فهذه الأخيرة قد خَصّصت لها في الحقيقة موقعاً محدوداً جداً.

ويمتاز الحوار القرآني مع اليهود والنّصارى، بأنّه حوار مفتوح على جميع الأسئلة، ليس فيه صدٌّ أو منع أو محرّمات لا يُستفسر عنها، إلّا أنّه في الوقت نفسه حوار صريح لا مكان فيه للمجاملة، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة: ٣٠.

كذلك سجَّل القرآن الكريم نماذج من «الحوار» بين اليهود والنّصارى أنفسهم، مبيّناً منسوب «الغِلّ» عند كلٍّ منهما تجاه الآخر: منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ البقرة ١١٣.

بناءً على ما تقدَّم، يمكن القول إنَّ حواراً حقيقياً يستلزم أن يأتي كلٌّ منّا للإدلاء بشهادةٍ عن عقيدته. ومُمكن لهذه الشّهادة في أقصى الحالات أن تُصبِح إعلاناً، ولكن بشرط أن لا تتحوّل إلى هدف للحوار. إنّني أُصرّ على تنبيه شريكي المسيحي: لا تُعلن لي شيئاً، ولكن تعال وقُلْ لي ببساطة «سأُدلي بشهادة عن عقيدتي». إنْ تفعل فإنّك تترك لي حُريّتي، وعكس ذلك عندما تقرأ عليَّ الأناجيل، مهما كان ارتفاع درجة الإحترام في طريقة القراءة، لأنّك بذلك تدعوني بشكلٍ فاضحٍ إلى اعتِناق عقيدتك، وهو أمرٌ لا يُمكن أن أقبله، لنفسي وللآخرين.